سلسلة ثقافة قومية هوي الصينية

民族文字出版专项资金资助项目

التعليم عند قومية هوي المسلمة في عصر أسرتي مينغ وتشينغ

تأليف: تشو تشوان بين

ترجمة: قاو يوي شياو

مراجعة: ما يونغ ليانغ أحمد السعيد

黄河出版传媒集团
宁夏人民出版社

الفهرس

تقديم..... 1

الفصل الأول: التعليم والعلوم التقليدية في الإسلام.....3

الفصل الثاني: نشأة التعليم عند قومية هوي.....11

الفصل الثالث: خصائص التعليم عند قومية هوي.....17

الفصل الرابع: التعليم عند قومية هوي في عهد أسرة مينغ.....19

الفصل الخامس: الإمام المعلم الكبير موّسس التعليم المسجدي.....21

الفصل السادس: نصوص ولغة التعليم المسجدي.....37

الفصل السابع: التعليم عند قومية هوي في عهد أسرة تشينغ 69

الفصل الثامن: نظام المواد الدراسية المتكامل في التعليم المسجدي.....85

الفصل التاسع: المدارس الثلاثة الكبرى للتعليم المسجدي بالصين.....91

الفصل العاشر: رحلات العلماء الصوفيين وتأسيس نظام الأفكار الصوفية.....115

تقديم

ماذا تعني كلمة "جياو يوي" في اللغة الصينية؟ إذا نظرنا للمقطعين الصينيين "جياو" و"يوي"، سنجد أنه وفقا لأقدم قاموس صيني والمسمى بـ "شو وان جي زي" فإن مقطع "جياو" يعني إتباع طريقة المعلم، أما مقطع "يوي" فإن معناه نشأة الأبناء على الصلاح، وبجمع معنى المقطعين معا في كلمة واحدة يكون المعنى "التعليم والتربية" أي تربية الإنسان وفق مقياس اجتماعي أو ثقافي معين. والتعليم لا يمكن الاستغناء عنه في أي وقت أو في أي مكان، فهو عملية اجتماعية للإنسان يحصل فيها على الثقافة عبر عدد كبير من الوسائل وخلال العديد من الظروف الاجتماعية. لقد ابتكرت المجتمعات المختلفة أنظمة تعليمية متنوعة من أجل تحقيق طموحات الإنسان الثقافية، والعلمية، والمعرفية والأهم من ذلك هو إنشاء مؤسسة خاصة بالتعليم. والتعليم الذي نتحدث عنه هنا هو التعليم المدرسي المنظم.

وقد كان الأسلوب التعليمي الأكثر انتشارا في تاريخ الصين القديمة هو التعليم في المدارس الأهلية التي أسسها أشخاص لأهداف متنوعة ومختلفة. وترجع أقدم هذه المدارس إلى فترة مخيم كونفوشيوس التعليمي، حيث كان يحصل فيها الطالب على تصديق المعلم من خلال وقوفه أمام تمثال

كونفوشيوس راكعا أو منحنيا أمام التمثال و المعلم احتراما لهما، ومن ثم يحصل على حق الالتحاق بالمدرسة. ولم تكن المدارس الأهلية آنذاك كبيرة، حيث كان لا يتجاوز عدد طلابها بضع عشرات وربما أقل من عشرة طلاب أحيانا. وكانت المناهج أو المحتوى الدراسي للمواد الرئيسية في المدارس الأهلية هو النصوص الكونفوشيوسية الكلاسيكية، والهدف من ذلك هو التهيئة للمشاركة في الامتحان الحكومي. وبالتالي لم يكن لهذا النوع من التعليم معيار يحكمه؛ لذلك كانت تنقصه الفاعلية الدراسية. وكذلك الأمر كان التعليم عند قومية هوي في العصر القديم متمثلا في المدارس الأهلية أيضاً، والتي أخرجت الكثير من مثقفي وأدباء قومية هوي. إلا أن التعليم الإسلامي في المساجد "التعليم المسجدي " كان هو الأكثر تأثيراً على التعليم في المدارس الأهلية عموما، وكذلك على التعليم عند قومية هوي بصفة خاصة.

الفصل الأول: التعليم والعلوم التقليدية في الإسلام

ظهر الدين الإسلامي في شبه الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي. وكلمة "الإسلام" في اللغة العربية تعني "السلام"[①]. إذا كيف نستطيع أن نصل إلى " السلام " بمعناه الذي نص عليه الدين الإسلامي الحنيف؟. من تعاليم الإسلام يتضح أنه لا شك أن الوسيلة الأولى للوصول إلى السلام هي التعليم، لأن التعليم هو الطريق الذي يخلّص الناس من الجهل ويلحقهم بركب الحضارة. ولذلك نجد أن الدين الإسلامي قد حث على "طلب العلم". حيث أكد القرآن الكريم أن طلب العلم جزء من الإيمان بالله، قال تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) فاطر / ٢٨.وحسب ما ذكره الكثير من العلماء، فإن هناك عدد كبير من الآيات القرآنية التي تحث الناس على دراسة الطبيعة والعلوم المختلفة وتدبر القرآن الكريم وكل ما ورد فيه. وهنا نتساءل لماذا هذا الاهتمام البالغ بالعلم؟

من المعروف أن الشريعة الإسلامية تتسم بالتجرد والمباشرة وتدعو إلى إعمال العقل، وتتجسد هذه الصفات في عبادة الله الواحد الأحد الذي ليس كمثله

① هذا حسب ما يتفهمه ويتناقله المسلمون وغيرهم في الصين حول معنى الكلمة في العربية- المترجم

شيء وهو السميع البصير، لا يحده مكان ولا زمان. ويدعو الإسلام كل الناس إلى إعمال عقولهم، والتحصن بالعلم ؛ ليصلوا إلى معرفة الله سبحانه وتعالى. ومجال التفكير هو أية الله الواضحة في الكون، وبالنسبة للمسلمين فالكون هو " خلق من خلق الله " أمرهم الله بإعمال عقولهم فيه ليفهموا أسراره ليصلوا بها إلى معرفة الله. و"العلم" و"المعرفة" كلمتان تقتربان في المعنى في اللغة العربية لغة القرآن الكريم، وطلب العلم واستكشاف العلوم جزء من الإيمان بالله لأنه الطريق الصحيح للوصول إلى الإيمان بالله. لذا يمكننا القول بأن طلب العلم من أهم مقومات العمل الأكاديمي والتعليم الإسلامي.

وقد أكد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) على أهمية العلم وطلبه والسعي إليه، في أقواله وأفعاله، حيث قال: " اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد" وقال: " إن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة" وقال أيضا في الحديث المرسل: "اطلبوا العلم ولو في الصين". وجميعنا يعرف أن رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) كان أميا، لم يذهب إلى مدرسة في صغره بسبب ظروفه الاجتماعية (هذا كان لحكمة بالغة، فلو كان صلى الله عليه وسلم يقرأ ويكتب ؛لقال المشركون أنه هو الذي يكتب هذا القرآن ويضعه من عنده، ولكن قضت حكمة الله لنبيه أن يكون أمياً حتى يوقن الناس أن هذا القرآن إنما يأتيه من السماء)، ولم يعرف الكتابة أو القراءة أبدا، وهذا لا يتنافى أبدا مع كونه عالما، فقد علمه ربه عن طريق الوحي وهذا إعجاز من الله سبحانه.

وظل الرسول يهتم بالعلم والعلماء طوال حياته وفي سنته الخالدة وما أُثِرَ عنه من أحاديث ما يؤكد ذلك، فمصدر السنة النبوية والحديث الشريف هو محمد (صلى الله عليه وسلم) وتعد السنة أكبر مصدر ثقافي إسلامي معرفي بعد القرآن الكريم.

ويعتبر إقامة وتشيد المساجد - وهي إحدى منابر التعليم - في أنحاء الأرض، عملا مقدسا واجبا عند المسلمين، انطلاقا من أوامر القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة. ومع تعاقب الأجيال حرص المسلمون على الاهتمام بالتعليم والدراسة العلمية. فكان العصر العباسي (٧٥٠- ١٢٥٨م) فترة ذهبية في تاريخ الحضارة الإسلامية، من حيث الاهتمام بالعلم والحث عليه، حيث أمر الخليفة المأمون (٨١٣-٨٣٣م) ببناء مرصدين فلكيين في بغداد ودمشق، وأسس بيت الحكمة الشهير في بغداد، والذي ضم فيه عدد كبير من العلماء، وكان يحتوي كمية هائلة من الوثائق الشرقية والغربية (باللغة العربية وبلغات أخرى)، حتى أضحى أكبر مكتبة وجامعة شهيرة في العالم آنذاك. ومن ضمن العلماء الذين عملوا في بيت الحكمة، عالم الرياضيات الشهير الخوارزمي، وقد ولد هذا العالم المسلم في آسيا الوسطى وهو مؤسس علم الجبر في الرياضيات. وقد أمر الخليفة القائمين على بيت الحكمة بترجمة وشرح كتب الفلك وغيرها من العلوم لبطليموس وغيره من العلماء الغربيين. وضمت تلك الجامعة الكبرى (بيت الحكمة) أيضاً العلماء المسيحيين إلى

جانب المسلمين، فكان حنين بن إسحاق أول مسئول في بيت الحكمة وهو نسطوري مسيحي، كما أن حنيناً وابنه إسحاق بن حنين وابن أخيه وتلميذه خزام بن حسن كانوا جميعا مترجمين مشهورين، قاموا بترجمة الكثير من الأعمال الفلسفية والعلمية لفلاسفة اليونان القدماء. وكان الخليفة يجزل لهم العطاء لقاء ما يترجموه، حيث كان يحصل المترجم على وزن ما ترجمه ذهبا خالصا. فأخرج لنا هذا الجو الذي يحترم العلم ويقدر العلماء ألمع فترة مرت في تاريخ الحضارة الإسلامية.

ومنجزات العلماء المسلمين في الفلك والرياضيات خلال تلك الفترة لم تترك تأثيرها العميق في حركة النهضة العلمية الأوروبية فقط، بل أثرت كذلك بشكل مباشر في علم الرياضيات والفلك عند الصينيين، وخاصة بعد عصر أسرة سونغ الملكية، حيث قد قام أبو عبد الله محمد بن جابر بن سنان البتاني(٨٥٨ــ٩٢٩م) بتعديل طريقة حساب مسار الشمس وبعض الكواكب، وحساب شطبة هوانغ داو والعام الاستوائي بشكل دقيق جدا. أما البيروني (٩٧٣ــ ١٠١٥م) فأثبت نظرية دوران الكرة الأرضية حول نفسها، ودوران الكرة الأرضية حول الشمس، وقام بقياس خطوط الطول والعرض للكرة الأرضية بدقة، وأثبت إمكانية حدوث الكسوف الكلي، وقد اقتبس العالم اليوناني كوبرنيكوس الكثير من نظرياته في كتابة ((نظرية الأجرام السماوية)). أما في مجال الطب، فقد اكتشف أبو بكر الرازي (٨٦٤ـ٩٣٢م) تقنية الخياطة

الجراحية، وكان أول من ابتكر علاجا لمرض الجدري. أما الفيلسوف و العالم المسلم ابن سينا (٩٨٠-١٠٣٧م) فقد كانت له موهبة فذة في الإلمام بجميع العلوم آنذاك، وتمت ترجمة كتابه ((القانون في الطب)) إلى اللغة اللاتينية، وكان لهذا الكتاب أكبر الأثر في نهضة الطب في أوروبا، كما ظل هذا الكتاب مرجعا هاما لطلاب الجامعات الطبية الأوروبية حتى القرن الـ ١٩. وفي مجال الفيزياء نبغ ابن الهيثم (٩٦٥- ١٠٣٨م) وهو صاحب لقب "مؤسس علم البصريات"، ومن العلماء المسلمين النوابغ أيضا جابر بن حيان (٧٢١-٨١٥م) الذي قام بتجارب التقطير والتبخير وغيرها من وسائل الاختبار، كما قدّم الكثير من التجارب حول كيفية صنع حمض الكبريتيك وحمض النيتريك وحمض الهيدروكلوريك، وقام بتعديل نظرية أرسطو في المعادن، وقد استمر العمل بنظريته الجديدة حتى القرن الثامن عشر.

وقد تأسس عدد غير قليل من الجامعات في العالم الإسلامي بحلول القرن الحادي عشر، ومنها جامعة الأزهر في مصر، حيث كانت أكبر وأول جامعة كبرى في العالم الإسلامي بنهاية القرن الحادي عشر. وقد ابتكر محمد والي الوزير التركي السلجوقي على السودان فكرة تأسيس نظام "التدريس" في القرن الحادي عشر، مما جعل المدرسة مؤسسة رسمية ممولة من الحكومة.) الذي أسس المدارس النظامية هو الوزير أبوعلي حسن بن علي بن إسحاق الطوسي المعروف باسم نظام الملك (٤٠٨ / ٤٨٥ هـ ـ١٠١٨ / ١٠٩٢م)

وقد أُطلق عليها اسم المدارس النظامية نسبة له، وكان نظام الملك وزيراً للسلطان السلجوقي "ألب أرسلان " ثم وزيراً لابنه من بعده السلطان ملكشاه. وكانت أول هذه المدارس هي مدرسة بغداد والتي تأسست عام ٤٥٧هـ / ١٠٦٧م، ثم تلتها مدارس أخرى في نيسابور، وبلخ، وهراه، و أصبهان، والبصرة، ومرو، وطبرستان، والموصل.وقد خرّجت هذه المدارس أعداد كبيرة من العلماء مثل العز بن عبد السلام، ابن عساكر، وابن شداد، وابو إسحاق الشيرازي، وابن الجوزي، وأبوحامد الغزالي وغيرهم) كما أسّس الكثير من المدارس والمعاهد باسمه في العديد من المدن كانت أشهرها المدرسة النظامية ببغداد والتي بدأ بناؤها في عام ١٠٦٥م، وكان من أشهر المحاضرين فيها العالم الشهير أبو إسحاق الشيرازي. وقد ظلت تلك المدرسة مزدهرة تنشر العلوم لأكثر من قرن من الزمان. وفي القرن الثاني عشر سجل ابن الجبيل المحاضرة الشهيرة التي ألقاها عالم الشريعة الشهير محمد القزويني في المدرسة النظامية، ومما ذكر من وصف ابن الجبيل للمحاضرة " وكان يورد النصوص بسهولة ويسر، ويضرب لذلك الأمثلة التوضيحية، ثم وجه الحضور إليه أسئلتهم المختلفة... كما قدم بعضهم إليه أسئلة مكتوبة، فجمع تلك الأسئلة، وقام بالإجابة عنها واحدا واحدا." ونستطيع أن نقول أن تلك الأساليب الأكاديمية التي استخدمها المسلمون من قبل هي نفسها التي نستخدمها الآن في هذا العصر مع اختلاف بسيط.

ويوجد أيضا المدرسة المستنصرية التي بناءها الخليفة العباسي المستنصر بالله عام ١٢٣٣م، وكانت مركزا لتأليف الكتب في كل العلوم من تفسير القرآن الكريم والحديث الشريف وأصول المذاهب الأربعة في الفقه وغيرها. وبعد ذلك تطور التعليم وازدهرت الدراسات العلمية عند المسلمين، حتى وصلت إلى أوج ازدهارها بعد استقرار الدولة الإسلامية الكبرى، وخاصة بعد القرن العاشر الميلادي. وقد قدم هذا الأساس الثقافي العميق خلفية ثقافية أساسية للمسلمين المهاجرين إلى الصين فيما بعد. ورغم أننا لم نستطع التحقق بدقة من وقت ظهور الطلاب المسلمين الوافدين إلى الصين، إلا أن العلماء المسلمين الذين عملوا في مدارس قومية هوي وإدارات الفلك وغيرها من الأجهزة الحكومية في عصر أسرتي يوان ومينغ، كانت لهم علاقة وثيقة بالدراسات العلمية المتقدمة والتعليم في المدارس المتطورة ذات النظم الحديثة حينها التي انتشرت في أكثر الفترات الإسلامية ازدهارا.

الفصل الثاني: نشأة التعليم عند قومية هوي

بدأت التبادلات الثقافية بين الصين ومناطق آسيا الوسطى والغربية في عصر ما قبل ظهور الإسلام. وقد قام تشانغ تشيان الصيني بالسفر إلى أسيا الوسطى والغربية والهند كمبعوث رسمي من قبل إمبراطور أسرة هان الملكية، وخلال هذه الفترة أثار انتقال الديانة البوذية من الغرب (يقصد به الهند ووسط أسيا) إلى الصين تغيرات ثقافية كبيرة في تاريخ وواقع الصين. ثم بدأ الدين الإسلامي ينتشر في الصين بحلول عام ٦١٠ م أي في السنة السادسة لحكم الإمبراطور يانغ دي من أسرة سوي الملكية. ويمكننا الاستنتاج أن تلك الفترة هي التي شهدت قدوم التجار المسلمون إلى الصين عبر طريق الحرير والتي كانت تعد في الصين فترة انتقالية بين أفول نجم حكم أسرة سوي الملكية وإشراقه شمس أسرة تانغ الملكية. (هذا الكلام غير صحيح بالمرة، ففي التاريخ المشار إليه في الفقرة السابقة وهو عام ٦١٠م، كان النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يصل لسن الأربعين فقد كان عمره وقتها ٣٩سنة وبالتالي لم يكن قد شرفه الله تعالى بالنبوة بعد، فكيف يصل الإسلام إلى الصين قبل أن يظهر في جزيرة العرب؟،كذلك هناك روايات وردت في المصادر الصينية تفيد بان الإسلام وصل إلى الصين عام ٦٢٧م والذي يوافق عام٧هـ وهذا

الرأي أيضاً لا يقبله الكثير من المؤرخين وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان وقتها مشغولاً بنشر الإسلام في الجزيرة العربية والتي كانت أجزاء كبيرة منها ما زالت على الشرك، فكيف يفكر في نشر الإسلام في بلاد بعيدة مثل الصين؟ لكن الرأي الذي يحظى بقبول جميع المؤرخين وتؤيده المصادر الصينية هو أن أول وفد قدم إلى الصين من الدولة العربية الإسلامية كان في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان) وفد وفي السنة الثانية لحكم الإمبراطور تانغ قاو تسونغ عام ٦٥١ م، أرسل الخليفة الثالث للمسلمين عثمان بن عفان مبعوثين إلى مدينة تشانغ آن عاصمة الصين، ويعد هذا العام رسميا هو بداية تاريخ انتشار الدين الإسلامي في الصين بشكل رسمي، ومع هجرة المسلمين إلى الصين بدأ التعليم الإسلامي ينتشر بين أسلاف قومية هوي.

وفيما يلي يمكن تقسيم مراحل التعليم عند قومية هوي بشكل مبسط وفقا للتسلسل التاريخي لفترات الحكم في الصين.

الفترة الأولى: التعليم عند قومية هوي في عصر أسرتي تانغ وسونغ (٨١٦ ـ ١٢٧٩ م).

بدأت في هذه الفترة الممتدة طوال ستة قرون ونصف القرن، بداية من حكم أسرة تانغ الملكية مرورا بحكم الأسرات الخمس وأسرة سونغ بفرعيها الشمالي والجنوبي، و ضمت تلك الفترة أيضا فترات حكم أسر لياو وشيشيا وجين. وخلال هذه الفترة هاجر أسلاف قومية هوي إلى الصين واستقروا

في بعض المدن، ولكن لم يتشكل لديهم نظام تعليمي مستقر وممنهج، بل ظل التعليم بدائيا ينتقل من الآباء إلى الأبناء في نطاق الأسرة، إلا أنه في ذات الوقت بدأ أبناء قومية هوي يتلقون تعليما في المدارس التي تقوم بتدريس الثقافة الصينية.

الفترة الثانية: التعليم عند قومية هوي في عصر أسرة يوان (١٢٧١- ١٣٦٨م).

ورغم أن فترة حكم أسرة يوان الملكية لم تتجاوز ٩٧ عاما، إلا أنها كانت أهم فترة في تاريخ قومية هوي. حيث غزا المغول كافة المناطق الغربية للصين حتى أوشكت قارة آسيا كلها أن تصبح تحت سيطرة أحفاد جنكيز خان، وحينها تم توحيد الأراضي، وفتح طرق التواصل بين الشرق والغرب، وبالتالي تدفقت مجموعات المهاجرين المسلمين إلى الصين قادمة من آسيا الوسطى والغربية حاملة معها العلوم والمعارف المتقدمة، كما صارت اللغة الفارسية التي كان يستخدمها المسلمون لغة دبلوماسية رئيسية في أسرة يوان الملكية، وبدأت الدروس الهامة في المدارس الرسمية لأسرة يوان الملكية عن خبرات المسلمين في إدارة الدولة وخاصة الإدارة المالية.

الفترة الثالثة: التعليم عند قومية هوي في عصر أسرة مينغ (١٣٦٨- ١٦٤٤م).

يعد عصر أسرة مينغ فترة حاسمة تم فيها السعي من الحكومة لتصيين المسلمين القادمين من الخارج، كما تم خلالها تكوّن قومية هوي (أكبر قومية مسلمة في الصين)، حيث تشكل نظام التعليم داخل القاعات الخاصة في

المساجد، وظهرت مجموعة كبيرة من العلماء المسلمين آنذاك، وفي الوقت نفسه تطور تعليم اللغة الصينية عند قومية هوي تطورا كبيرا.

الفترة الرابعة: التعليم عند قومية هوي في عصر أسرة تشينغ (١٦٤٤-١٩١١ م).

شهد التعليم عند قومية هوي في هذه المرحلة تطورا مستمرا وظهرت الكثير من المذاهب المختلفة. كما تطور التعليم المسجدي بالقاعات وازدهر ازدهارا كبيرا، وظهرت الفرق الصوفية التي تهتم بتعليم أنواع خلابة روحانية من العلوم الدينية تهتم فيها بصفاء الروح وصحتها أكثر من اهتمامها بالجسد، وتطورت مدارس هذه الفرق تطورا كبيرا. وفي منطقة السهل الصيني الرئيسي ظهرت مساجد خاصة للنساء ومدارس متميزة للطالبات. كما شهد تدريس اللغة الصينية وتعليم رياضة الو وشو (فن الأساليب القتالية) ازدهاراً كبيراً و مستمراً .

الفترة الخامسة: التعليم عند قومية هوي في فترة الجمهورية الأولى (١٩١٢-١٩٤٩ م).

تعد فترة الجمهورية الصينية الأولى، فترة التحول والتطور في مستوى ونظام التعليم عند قومية هوي، حيث كان التعليم هو نقطة الانطلاق والتقدم الرئيسية لحركة الثقافة الجديدة لقومية هوي، حيث انه خلال هذه الفترة بدأ تأسيس المدارس الحديثة بتوسع، ومما لفت الأنظار بقوة إلى التقدم الكبير